

الباب الثالث

تطور معنى كلمة الادب

إن لفظ الأدب من أنبه الكلمات ذكرا وأطولها عمرا وأحفلها تاريخا و اشرفها معنى وأوسعها دلالة. اختلفت عليها التغيرات وكثرت لها تعريفات وقامت حولها المجادلات والمناظرات : ولا تزال فى حاجة الى الدرس والبحث والتجديد لتطور مدلولها بتطور العلم والحضارة.

الفصل الاول

معنى كلمة الادب من العصر الجاهلى

ولا ريب أن الجاهليين عرفوا هذه الكلمة واستعملوها في معان ثلاثة على ما استقره الأستاذ نليون. كان أولاً قد استعملوا هذه الكلمة في معنى الطريقة المحمودة والعادة الحسنة والدعوة الى الطعام كما نجد في شعر حاتم الطائي :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى #

لا ترى الأدب فينا

ينتقر¹⁸

ثم استعملوها في مرة أخرى في معنى الأخلاق الكريمة¹⁹ كما ورد في قصة عتبة

¹⁸ برهان جمل الدين، القيم الإسلامية في الشعر الجاهلي، "قيمة" (أبريل، 2003) ص: 15
¹⁹ أحمد حسن الزباد، في الأصول الأدب، مطبعة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1943 م / 1365 هـ. ص: 7

وبنته هند حينما تحدثا فى خطبة ابي
سفيان عليها، قال عتبة.

.....يدر أرومته وعز عشيرته يؤدب

أهله ولا يؤدبونة.²⁰

فقلت هند :

إنى لأخلاق هذا لوامق وإنى له لمواقفة،
وساجذة بأدب البعل مع لزوم قبتي وفلة
تلفنى.²¹ من تلك قصة نعرف بأن كلمة الأدب
تستعمل فى الأخلاق الكريمة. وهناك أقوال
أخرى فى العصر الجاهلى لابس من وقوف
عندها لحظة لعل فى ذلك ما ينفعنا هنا. وفى
كتاب النعمان بن المنذر الى كسرى مع وفد
العربى "وقد او فدت ايها الملك رهطا من
العربى لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم
وعقولهم وأدبهم" وفى كلام علقمة بن

²⁰ Juwairiyah Dahlan K, *Intisari Sejarah Kesusasteraan Arab Pada Masa Islam*, (Surabaya; IAIN Sunan Ampel, Tidak Diterbitkan) hal: 2

²¹ *Ibid*, hal: 3

علاثة إمام كسرى "فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك، بل لوقست كل رجل منهم، وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له فى أبائه الفاضل منسوبا وبالشرف والسؤدد موصوفا وبالرأى الفاضل والأدب معروفا.

فهذه الروايات ونحوها لانشيد بها ان كانت بعيدة العهد معرضة لدعوى الوضع، ولكنها من ناحية ثانية تبين لنا على الأقل رأى هؤلاء المنتحلين فى عرب الجاهلية، وكيف كانوا يتصورون حياتهم الإجتماعية والأدبية والسياسية وهذه الصورة تشير الى أن معنى كلمة الادب يجول فى الناحية التهذيبيية الذى كان معروفا قبل الإسلام.²²

وقال الدكتور محمد التونجى فى المعجمى المفصل فى الادب ان كلمة "ادب" له معنيان : معنى

²² احمد السايب, اصول النقد الأدبى (مصر: مكتبة الحضريية, 1963 م) ص:5

مادي من : أدب مادبه، بمعنى أولم وليمة" ومعنى
روحي تطور مع الزمان، وقد مرت هذه الكلمة
بمراحل عديدة تطورت في مفهومهما. فقد
كانت معروفة في العصر الجاهلي بمعنى
الخلق النبيل الكريم.²³

²³ التوتجى، المعجم المفصل في الأدب الجزء الأول، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، مجهول السنة) ص: 46

الفصل الثانى

معنى كلمة الادب فى عصر صدر الإسلام

كان أصل هذه الكلمة "الادب" دلت فى الجاهلية و صدر الإسلام على معانى مختلفة كما ذكر، ثم ظلت فى القرن الأول والثانى من الهجرة مقصورة على هذه المعانى. أي العادات العامة وحسن التصريف، ثم جملة الأخلاق الكريمة الحاصلة من تربية النفس ثم جملة المعارف التى تميز الخواض. لا أن العلوم الشرعية أطلق عليها اسم العلم منذ أوسط القرن الأول تمييزاً لها من المعارف الدنيوية القائمة على المعارف الجاهلية. وظل التأديب كالأدب دالا على معنيين القديمين وهما التهذيب والتعليم.²⁴

²⁴ احمد حسن الزيات، مراجع السابق، ص: 9. وانظر ايضا شوقى ضيف، البحث الأدبى، (دار المعارف، مجهول السنة) ص: 13

ثم نلاحظ كذلك أن هذه النصوص المنسوبة الى الرسول وصحابته كثيرة تعدد فيها معنى الكلمة كما تنوعت مادتها. منها ما روي أن عليا رضى الله عنه قال للرسول عليه السلام : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أدبنى ربي فأحسن تأديبي وربيت في بنى سعد" فالمادة هنا فعل متعد معناه تعليم. وروي عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه السلام قال : إن هذا القرآن مادبة الله فى الأرض فتعلموا من مادبته " والمادبة إسم مكان من الادب على تشبيهه. فالقرآن يجمع الادب التى يدعو الله تعالى عباده إليها من خلق الكريم. وحكم صالحة ومواعظ نافعة من كل ما يتصل بمعنى تهذيب النفس.²⁵

²⁵ أحمد الشايب، المرجع السابق، ص: 5-7. وانظر ايضا القد الادب، الجزء الأول، الأحمد أمين (بيروت، دار الكتب العربية، مجهول السنة) ص: 41-42.

وكان هؤلاء المؤدبون يدرسون للناشئين الشعر وما يتصل به من نسب وايام واخبار وامثال، شرحاله، وتوسعة للمعارف، ومن ذلك تحدد المعنى التهذيبي لمادة الأدب منذ اوسط القرن الأول للهجرة وصارت تؤدى معنيين ممتازين:

1. المعنى الخلق التهذيبي هو أخذ النفس بالمرانة على الفضائل الإجتماعية، والشيم الكريمة، من حلم وكرم وشجاعة وصدق. تأثر بهذه المرانة إكتساب الأخلاق الفاضلة والسيرة الحميدة فى الناشئين

2. التعليم القائم على رواية الشعر والنثر وما يتصل بهما من نسب وخير وأمثال ومعارف تزيد العقل نورا، والذوق صفاء، والنفى ثقافة وعرفانا.²⁶

²⁶ احمد الشايب، المرجع السابق. ص: 5-7

فتولد من معانيه الأصلية معان أخرى
 إقتضتها الحال: تولد من المعنى الأول وهو العادة
 الحسنة أطلق الأدب على السنة النبوية. وأول
 من فعل ذلك الجاحظ المتوفى فى السنة
 200هـ، فقد قال فى كتابه الحيوان فى الصفحة
 الثامنة من الجزء الأول: " فالذى لم يأخذ فيما
 بعلم القرآن ولا بأدب الرسول عليه السلام ولم
 يفرع الى ما فى الفطن الصحيحة أول بالإساءة
 وأحق بالأئمة. ثم قال: هذا حكم الله وأداب رسوله،
 وفى أواخر القرن الثالث عبروا بالأدب من المنهج
 الواجب سلوكه فى تلقى علم من العلوم أو
 مزاولة عمل من الأعمال: فأراد مثلاً بأداب
 الدرس طريقة التعليم و التعلم، وبأداب البحث
 قوانين المناظرة التى يجب إتباعها فى الرد
 والقبول.²⁷

²⁷ احمد حسن الزيد، فى الأصول الأدبية، (الطبعة الثانية، مطبعة الرسالة، مجهول السنة) ص: 9

ولما ورفت ظلال العيش فى مدن العراق
والجزيرة فى القرن الثالث، وتقلب العرب فى
أعطاف النعيم أو لعبوا بالمنادمة والتأنق،
فأطلقوا الأدب على الأناقة فى اللباس والطعام،
واللباقة فى الحديث والكلام. فكان الأديب
والظريف بمعنى واحد ثم تولد من المعنى
الثالث وهو الجملة المعارف غير الشرعية
إطلاق لفظ الأدب على جميع ما ترجم من العلوم
ونقل من الألعاب والفنون بعد أوسط القرن
الثانى.²⁸

كان الادب في صدر الاسلام يشمل علا المعانى
اكثر من معنى الاخلاق لوجود الايات القران او الأحاديث
النبوة يدعو الى اصلاح الاخلاق. وقد يوجد
مجىئى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا من الله
فى هذه العالم لأتمم مكارم الأخلاق. كما صوره
حديث "إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق" (رواه مسلم).

²⁸ احمد حسن الزيد، المرجع السابق، ص: 10

الفصل الثالث

معنى كلمة الأدب فى العصر الحديث

وأما الأدب فى معناه الحديث فهو علم يشمل على أصول فن الكتابة، ويعنى بالأثارة الخطية، والشعرية والنثرية، وهو المعبر عن حالة المجتمع البشرى. والمبين بدقة وأمانة عن العواطف التى تعمل فى نفوس شعب أو جيل من الناس، أو أهل حضارة من الحضارة.²⁹

ويعرف الأدب فى اللغة العربية بأنه " ما أنتجه الكتاب أو الشعراء من جميل النثر أو الشعر، مما يصور عاطفة، أو يصف منظرًا. أو يعرض صور الحياة أو الطبيعة " وفى الإنجليزية يفرق بين نوعين من الأدب : والأدب بمعناه العام وهو " الإنتاج العقلى يصور فى الكلام ويكتب فى الكتب " والأدب بمعناه

²⁹الدكتور محمد التونجى، المرجع السابق، ص: 62

الخاص. وهو " الفكرة الجميلة فى العبارة الجميلة The best expression of the best thought وهو بهذا المعنى الخاص من الفنون الجميلة التى تبعث فى نفس القارئ او السامع متعة وسرورا، فالقصيدة الرائعة، والمقالة البارعة، والخطبة الحسنة، والقصة الجيدة كل هؤلاء أدب، بالمعنى الخاص لأنك حين تقرؤها او تسمعها تجد فيها لذة فنية كتلك التى تشعر بها حين تسمع غناء المعنى، ولحن الموسيقى، وحين ترى الصورة الجميلة والتمثال البديع، فالادب إذن فن يثير فى نفس قارئه او سامعه هزة وسرورا بقدر ما فيه من جمال وما عند المدرك من حساسية بالفنون. وما يكتب عن الكيمياء او الطبيعة او النحو او مساحة الأرض من كلام يسمى أدبا بالمعنى العام، لأنه يتضمن ما وصل إليه العقل

البشرى من معارف سواء أبعث في نفس سامعه او قارئه متاعا ام لا.³⁰

فقد وضع مقابلا لكلمة الأدب كلمة لتراتور literature فى الأدب الأوروبى مشتقة من الكلمة اللاتنية literature او letter ولكلمة literature عند الفرنج معنيان كما سبق ذكرهما.³¹

إذن، معنى الكلمة الأدب تطور من عصر الى عصر اى أن تطوره مع تطور الزمان والمكان وهنا هو معنى الأدب الروحى.

وبعد أن عرض الباحث البيانات السابقة عن علم الدلالة وما يتعلق بها من أنواعها وأشكال التغير الدلالى وما يتعلق بكلمة الأدب من معناها وتطورها الذى كان مستمرا على تغير معناها حتى أصبح بعد مرور الزمان خضوعا إلى الاصطلاح العلمى فتبين للباحث أن

³⁰ عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية اصولها النفسية وطروق تدريسها، الجزء الأول، (الطبعة الثالثة منقحة، دار المعلوف،

1961 م) ص: 289-290

³¹ احمد حسن الزباد، فى اصول الادب، ص: 11

تغير معنى كلمة الأدب من أزمنة إلى أزمنة أخرى
 كان ثابتا على قوة العلماء الذين كانوا
 مثقفين على اثبات المعنى المستعمل لكن
 الباحث يبحث خصوصا عما يتعلق بتغير
 المعنى الدلالي من حيث الدراسة الدلالية.

وذكر سابقا ان علم الدلالة هي العلم الذي
 يدرس المعنى ويدخل إليه مثل دراسة انواع
 المعنى وأشكال تغيرها هو يتنوع الى المعنى
 التضيق والمعنى التوسيعي ومعنى الإنحطاط
 والرقية. وكذلك أن معنى كلمة الأدب مستمر على
 التغير معتمدا على الأزمنة العديدة
 المختلفة. باتفاق الناس الذين استعملوا اللغة
 العربية إذ ان الإتفاق بين الناس أمر مهم فى اللغة
 وفهمها.

ومعنى كلمة الادب كما ذكر سابقا تلخيصه
 أنه جاهلية بمعنى الطريقة المحمودة
 والعادة الحسنة والدعوة الى الطعام والاخلاق

الكريمة وفى صدر الإسلام بمعنى الأخلاق
الكريمة والتهذيب والتعليم وفى عصر الحديث
بمعنى علم يشمل على أصول فن الكتابة
ويعنى بالأثارة الخطبية والشعرية والنثرية.

ونظرا الى تغيير معنى كلمة الادب حلل
الباحيث تحليلا معتمدا على مااستقره علم
الدلالة. إذا خصص تحليلا الى تغيير المعنى فى
كلمة الادب يدور على ما يقع فى التضييق
الدلالى والتوسيع الدلالى.

ومعنى كلمة الادب جاهلية كما هو مذكور
الطريقة المحمودة والعادة الحسنة او الأخلاق
الكريمة وكذلك دعوة الى الطعام، وهذه المعانى
تدل على أنها تدور على التوسيع الدلالى. إذ أن
الدعوة إلى الطعام أو الولائم مثلا لها التوسيع
الدلالى. وتدخل أيضا الى توسيع المعنى
الطريقة المحمودة والعادة الحسنة أو الأخلاق
الكريمة كما عرف أن الطريقة المحمودة وما

يشتمه بها من أقوال وأفعال وغيرها مما له الصفة المحمودة.

وكذلك فى صدر الإسلام الذى يدل أن معنى كلمة الأدب هو الأخلاق الكريمة من تربية النفس وجملة التصرف، لكنه يتضيق الى المعنى الخاص يكون وجود الأخلاق الكريمة توجد بتربية النفس. إذا كان الادب هو التعليم والتهذيب. واشتهر فى تاريخ الادب العربى أن معنى الأدب فى صدر الإسلام منقول من قوله صلى الله عليه وسلم..... أدبنى ربي فأحسن تأديبى.³² والأدب هنا بمعنى التعليم.

وفى صدر الإسلام أيضا يتضيق معنى كلمة الأدب الى التعليم القائم على رواية الشعر والنثر وما يتصل بهما من نسب وخير وأمثال ومعارف تزيد العقل نورا وغيره. هذه المعانى

³² احمد السايب, اصول النقد الأدبى, (مصر: مكتبة الحضريّة, 1963 م) ص: 8

أضيق مما قبله أى وجود معنى الأدب فى صدر الإسلام.

أما فى العصر الحديث فإن معنى كلمة الأدب كما ذكر هو علم يشمل على أصول فن الكتاب ويعنى بالأثارة الخطية والشعرية والنثرية المعبرة عن حالة المجتمع البشرى المبين بدقة وأمانة العواطف التى تكون فى نفس الانسان. ونظرا الى هذه الحقيقة أن معنى كلمة الأدب يميل مرارا الى الضيق حتى فى العصر الحديث الذى كان معناها فيه أضيق مما قبله يعنى معنى كلمة الأدب فى صدر الإسلام إذ انه يدخل فى معنى كلمة الأدب فى صدر الإسلام جميع المعارف عاما كالفلسفة والفقة وغيرهما فأما فى الحديث فمخصوص فى الأدب الخاص الذى يتكلم ويبحث عن دراسة فن الكتابة وغيرها شعرا كان نثرا للتعبير

عن حالة المجتمع البشرى والبيان عن الدقة
والامانة عن العواطف الإنسانية.